سورة القارعة

مكية، وآياتها ١١
[نزلت بعد قريش]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ٱلْقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٣ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ۝٤ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ۝٥ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٦ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ۝٩ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ۝١١﴾

الظرف نصب بمضمر دلّت عليه القارعة، أي: تقرع ﴿يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ۝٤﴾ شبههم بالفراش في الكثرة والانتشار والضعف والذلة، والتطاير إلى الداعي من كل جانب، كما يتطاير الفراش إلى النار. قال جرير [من الكامل]:

إِنَّ الْفَرَزْدَقَ مَا عَلِمْتُ وَقَوْمَهُ ... مِثْلُ الْفَرَاشِ غَشِينَ نَارَ الْمُصْطَلِي[1]

وفي أمثالهم: أضعف من فراشة وأذل وأجهل. وسمي فراشا: لتفرّشه وانتشاره. وشبه الجبال بالعهن وهو الصوف المصبغ ألوانًا؛ لأنها ألوان، وبالمنفوش منه؛ لتفرّق أجزائها. وقرأ ابن مسعود: «كالصوف». الموازين: جمع موزون وهو العمل الذي له وزن وخطر عند الله. أو جمع ميزان. وثقلها: رجحانها. ومنه حديث أبي بكر لعمر ـ رضي الله عنهما ـ في وصيته له: «وإنما ثقلت موازين من ثقلت موازينهم يوم القيامة باتباعهم الحق وثقلها في الدنيا، وحق لميزان لا توضع فيه إلاّ الحسنات أن يثقل، وإنما خفت موازين من خفت

---

(١) لجرير. وما علمت: أي مدة علمي، أو في علمي. وهذا من الإنصاف في المحاورة. والفراش: ما يتطاير إلى السراج؛ وربما مات فيه لحمقه. والمصطلي: المتدفئ بالنار: شبههم به في الذل والجهل والتطفل على الغير، كما يغشى الفراش رأس المصطلي ويحوم حولها. وربما ألقى بنفسه إلى النار، فهم مثله.
ينظر: ديوانه ص ٩٤٣، ولسان العرب (فرش) وتاج العروس (فرش)، وتهذيب اللغة (١١/٣٤٦).

موازينه لاتباعهم الباطل وخفتها في الدنيا، وحق لميزان لا توضع فيه السيئات أن يخفّ» (١٧٩١) ﴿فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ۝٩﴾ من قولهم إذا دعوا على الرجل بالهلكة[١]: هوت أمّه؛ لأنه إذا هوى أي: سقط وهلك، فقد هوت أمّه ثكلاً وحزنًا قال: [الطويل]

هَوَتْ أُمُّهُ مَا يَبْعَثُ الصُّبْحُ غَادِيًا وَمَاذَا يَرُدُّ اللَّيْلُ حِينَ يَئُوبُ[٢]

فكأنه قيل: وأما من خفت موازينه فقد هلك. وقيل: ﴿هَاوِيَةٌ﴾ من أسماء النار، وكأنها النار العميقة لهوى أهل النار فيها مهوى بعيدًا، كما روي: «يهوي فيها سبعين خريفًا» (١٧٩٢) أي: فمأواه النار. وقيل: للمأوى: أمّ، على التشبيه؛ لأنّ الأمّ مأوى

١٧٩١ ـ رواه ابن أبي شيبة في المصنف (٧/ ٤٣٤) الحديث (٣٧٠٥٦) والطبري في التفسير (١١/ ٢٨٦) رقم (٣١٢٧٢) قال: حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن ليث عن مجاهد قال: دعا أبو بكر عمر رضي الله عنهما. . . . فذكره وعزاه الزيلعي (٤/ ٢٧١) لأبي نعيم في الحلية في ترجمة أبي بكر الصديق.
وقال الحافظ في تخريج الكشاف: وهذا منقطع مع ضعف ليث. وهو ابن أبي سليم. وأخرجه ابن أبي شيبة وأبو نعيم في الحلية في ترجمة أبي بكر من رواية إسماعيل بن أبي خالد عن زيد بن الحرث «أن أبا بكر لما حضره الموت أرسل إلى عمر. فلما أتى قال له: إني موصيك بوصية، إن لله حقًا في الليل لا يقبله في النهار وحقًا بالنهار لا يقبله في الليل. وإنه ليس لأحدنا نافلة حتى يؤدي الفريضة. إنه إنما ثقلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيامة باتباعهم الحق في الدنيا وثقله عليهم. وحق لِميزَانٍ لا يوضع فيه إلا الحق أن يثقل ـ الحديث». انتهى.
١٧٩٢ ـ رواه الحاكم (٤/ ٥٩٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: «قال رسول الله ﷺ إن الرجل ليتكلم بالكلمة ما يظن أن تبلغ ما بلغت يهوي بها سبعين خريفًا في النار».
وقال صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ووافقه الذهبي ورواه أحمد في المسند (٢/ ٢٩٧، ٣٥٥، ٥٣٣) وأبو يعلى في مسنده (١١/ ١٠٩) رقم (٦٢٣٥) وعزاه الزيلعي في تخريج الكشاف (٤/ ٢٧٢) لإسحاق بن راهويه والبزار في مسنديهما وفيه أحاديث منها حديث أبي هريرة.
أخرجه البخاري (١٣/ ١٠١) كتاب الرقاق، باب حفظ اللسان الحديث (٦٤٧٧، ٦٤٧٨) ومسلم =

---

(١) قال محمود: «إذا دعوا على الرجل بالهلكة قالوا: هوت أمه. . . إلخ» قال أحمد: والأول أظهر؛ لأنه مثل معروف كقولهم؛ لأمه الهبل.
(٢) لكعب في مرثية أخيه. وهوت أمه دعاء لا يراد به الوقوع بل التعجب. وما مبتدأ، وما بعده خبر. والمعنى: أي شيء يبعثه الصبح منه، وأي شيء يرده الليل، كما روي: وماذا يرد الليل؛ يعني: أنه شيء عظيم. ومنه تجريد مقدر فيه، يعني: أنه كان يغدو في طلب الغارة ويرجع في الليل ظافرًا. وما في الموضعين من الاستفهام، معناه للتعجب والاستعظام. وإسناد الفعل للصبح والليل مجاز.
ينظر: الأصمعيات ص ٩٥، ولسان العرب (أمم)، (هوا)، وتهذيب اللغة ١٥/ ٦٠٢، ٦٤١، وجمهرة اللغة ص ٢٢٩، وسمط اللآلي ص ٧٧٣، وجمهرة أشعار العرب ص ٧٠٣، وتاج العروس (أم)، (هوى)، وبلا نسبة في تهذيب اللغة ٦/ ٤٩٢، ١٤/ ٢٧٤، والمخصّص ١٢/ ١٨٢، ولسان العرب (هبل).

الولد ومفزعه. وعن قتادة: فأمّه هاوية، أي: فأمّ رأسه هاوية في قعر جهنم، لأنه يطرح فيها منكوسًا (هيه) ضمير الداهية التي دلّ عليها قوله: ﴿فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ۝٩﴾ في التفسير الأوّل. أو ضمير هاوية والهاء للسكت، وإذا وصل القارئ حذفها. وقيل: حقه أن لا يدرج لئلا يسقطها الإدراج، لأنّها ثابتة في المصحف. وقد أجيز إثباتها مع الوصل.

عن رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة القارعة ثقل الله بها ميزانه يوم القيامة» ٢/ ٢٧١أ (١٧٩٣).

= (٩/ ٣٤٣ ـ نووي) كتاب الزهد والرقائق، باب التكلم بالكلمة يهوي بها في النار الحديث (٢٩٨٨) والترمذي (٤/ ٥٥٧) كتاب الزهد، باب فيمن تكلم بكلمة يضحك بها الناس الحديث (٢٣١٤) وابن ماجه (٢/ ١٣١٣) كتاب الفتن، باب كف اللسان في الفتنة الحديث (٣٩٧٠): والبيهقي (٨/ ١٦٤) كتاب قتال أهل البغي، باب ما على الرجل من حفظ اللسان.

وقال الحافظ في تخريج الكشاف: هذا طرف من حديث أخرجه الترمذي في صفة جهنم من رواية الحسن عن عتبة بن غزوان «أن النبي ﷺ قال: إن الصخرة العظيمة لتلقي من شفير جهنم فتهوي فيها سبعين عامًا ما تقضي إلى قعرها» وقال غريب لا نعرف للحسن سماعًا. من عتبة وهذا منقطع. وقد رواه مسلم من حديث عتبة بلفظ «وذكر لنا» وهو في حكم المرفوع وروى الحاكم من طريق عيسى بن طلحة عن أبي هريرة مرفوعًا «إن الرجل ليتكلم بالكلمة لا يرى بها بأسًا يهوي بها في النار سبعين خريفًا» وأصله في البخاري من رواية أبي صالح عن أبي هريرة بلفظ «يهوي بها في جهنم» حسب. وروى البزار من طريق مجالد عن الشعبي عن مسروق عن ابن مسعود رفعه، يؤتى بالقاضي يوم القيامة فيوقف على شفير جهنم فإن أمر به فدفع فهوى فيها سبعين خريفًا». انتهى.

١٧٩٣ ـ تقدم برقم (٣٤٦): وقال الحافظ في تخريج الكشاف: أخرجه الثعلبي والواحدي وابن مردويه بسندهم إلى أبي بن كعب. انتهى.